مقتل الشيخ جميل الرحمن..!!

عند ظهر يوم الجمعة المبارك ٢٠/ ٢/ ١٤١٢هـ الموافق ٢٠/ ٨/ ١٩٩١م امتدت يد آثمة تحمل مسدسًا رخيصًا لا تتجاوز قيمته خمسة وسبعين ريالاً إلى وجه رجل صبوح عرف في الساحة الأفغانية بحرصه الشديد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأطلقت اليد الآثمة من المسدس الرخيص ثلاث طلقات سريعة على الوجه الطيب أردت صاحبه قتيلاً محسوبًا ــ بإذن الله تعالى ـ من الشهداء.

ويظن القاتل أنه بقتله رمزًا من رموز المجاهدين يسهم في القضاء على الجهاد في أفغانستان، وكأن الجهاد أضحى مربوطًا بالرجال، وما علم أن الجهاد مدعاة إلى فقدان الرجال، وما حمل لواء الجهاد إلا من باع نفسه واشترى بها الجنة بإذن الباري، فهانت عليه نفسه وهانت عليه الدنيا.

كان جميل الرحمن من أول المجاهدين، تشهد له الساحة بالسبق، وكان شيخًا عالمًا ومجاهدًا صادقًا، رأى أمورًا أراد أن يعجل في زوالها حتى يكون للجهاد طعم، ويكون له أثر سريع، فآلى على نفسه أن يتصدى لمعوقات النصر، ورأى أن أفضل وسيلة هي أن ينشئ جماعة خاصة تركز على تنظيف المجتمع من بعض العوالق التي علقها به الجهل القديم، وخلو الساحة من الدعاة ـ إلا ما رحم ربي ـ وعدم التأكيد على التعليم والتربية، وانشغال الناس بالقتال مفهومًا من مفهومات الجهاد. وزعم البعض أن الوقت لا يتسع لغير القتال، فطال أمد القتال، وبرزت على السطح علامات استفهام: لماذا تأخر النصر؟

وكنت أسمع الشيخ عبد الله عزام ـ رحمه الله ـ وهو أحد ضحايا الساحة ـ جعله الله من الشهداء ــ يقول إن مجرد صمود المجاهدين العزل في وجه أقوى دولة في العالم يعد نصرًا من الله. ويمكن أن يضاف إلى ما قاله الشيخ

أبو محمد ـ رحمه الله ـ إن مجرد انسحاب الروس من أفغانستان يعد أيضًا نصرًا ـ بإذن الله ـ. وإن سقوط الشيوعية سقوطًا تامًا في الشهر الثامن من السنة الميلادية الحالية ١٩٩١م يعد نصرًا للمجاهدين جميعًا في أفغانستان، فأرض أفغانستان هي السبب المباشر في اندحار الشيوعية. وستصل التقارير التي تؤكد هذا الزعم في مستقبل الأيام ـ بإذن الله ـ.

ومع هذا فقد تأخر النصر، واستعصت كابل آخر معاقل عملاء الشيوعية، فحق للمهتمين بأمر الجهاد أن يقفوا وقفة طويلة ليجيبوا على السؤال المطروح على الساحة الإسلامية: لماذا تأخر النصر؟! وهل يعني هذا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عاجز عن أن ينصر جنده؟! ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ـ وهل يعني هذا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أخلف وعده حينما وعد بنصر من ينصره: ولينصرن الله من ينصره؟! وهل يعني هذا أن الناس لم يصلوا إلى مستوى النصر من الله؟! لا يخرج الأمر عن هذه الاحتمالات الثلاثة. والاحتمالان الأولان متعذران مستحيلان في حق الله تعالى ولا يقول بهما مؤمن. ويبقي الاحتمال الثالث. ومن هنا تنشأ الدعوة إلى إيصال المسلمين إلى أن يستحقوا النصر من الله تعالى. ومحاولات الشيخ جميل الرحمن ـ رحمه الله تعالى ـ هي فيما يبدو داخلة في هذا النطاق، ضمن محاولات أخرى قريبة من محاولات الشيخ.

ويفهم هذا الكلام خطأ حينما يعتقد الحصر وأن بقية المهتمين بالجهاد لا يعنون بهذه الناحية. وقد أدى هذا الفهم الخاطئ إلى شيء من الوهم في تعميم فكرة غير صحيحة تمامًا عن مسيرة الجهاد في أفغانستان مما أدى إلى نتائج غير طيبة بسبب هذا الفهم غير الطيب. ولكن الجماعات ـ ما دامت الساحة قد سمحت بهذا الأسلوب ـ يحصل بينها تميز. والحق أن الجماعات على العموم في الساحة الأفغانية فيها شيء من هذا التميز الذي ربما كان

السبب في تعدد هـذه الجماعات . وهي متفـاوتة من حيث انتماءاتها ممـا هو معلوم .

ولا شك أن مقتل الشيخ جميل الـرحمن قـد ترك أثـرًا سلبيًـا على السـاحـة الجهاديـة في الداخـل والخارج ، وكونـه قتل على يدي عـربي له أثـره السلبي الواضح مما حدا ببعض المتحمسين إلى أن يصدر بيانًا ينفي فيه أن القاتل هو الشاب العربي ، بل كان وراءه رجل أفغاني ملثم ! ! هو الذي قتل الشيخ ، وذكر صاحب البيان أن شهودًا عربًا ثلاثة كانوا موجودين ورأوا هذا الملثَّم ! ! وهذا ما جعل الجهات الأمنية الباكستانية تستجـوب صاحب البيان وتطلب منه إحضار الشهود الثـلاثة الذين ــ على ما يبدو ـ كـانوا من نسج خيال صـاحب البيان ؛ لأننا قد حدثنـا من شاهد عيان حاضر ، خلاف مـا ذكره البيان . ولعل القصد من البيان تبـرئة العرب من دم الشيخ سعيًـا وراء الاستمرار في دعم الجهـاد في أفغانستان في جو أخوي لا تتطرق له مؤثرات سلبية .

وعلى أيـة حال فقـد زاد التوتـر مع مقتل الشيخ بين صفـوف المجاهـدين ، وزادت الحساسيـة بين الأحزاب والجمـاعات ، وأشـارت الأصابع إلى مـن هو وراء مقتل الشيخ ، وساورت الأذهـان أفكار وأفكار بعضها بعيـد جدًا وبعضها قريب جدًا ، ومقتـل القاتل على يد حرس الشيخ جميل الـرحمن ـ رحمه الله ـ زاد في السرحان في الأفكار إلى غير مدى .

ولعل من آثار هذه الجـريمة الانشغال في الهموم الداخليـة وصرف التفكير إلى الصراع المحلي ، ثم تشويه سمعة الجهاد والمجاهدين في وقت تنتظر فيه الأمة الدولة الإسلامية في أفغانستان . وربما أدى مقتل الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى وجـود فجوة بين الأفغـان ومن يناصـرونهم من العـرب خاصـة . وهذه إحـدى الفرص التي سيدور عليها الإعلام العالمي في هـذه الفترة بالذات ليشعر الناس بضرورة اللجـوء إلى مشروع الأمـم المتحدة في إنهـاء القضية الأفغـانية ، إذ إن

حادث مقتل الشيخ جميل الرحمن ـ عليه رحمة الله ـ مؤشر لدى هؤلاء إلى تأكيد عدم قدرة المجاهدين على جمع الصف ووحدة الكلمة في الوقت الذي يبحث فيه عن بديل للنظام القائم في كابل الذي يفرح بوجود مثل هذه الحوادث التي تساعد على طول بقائه علمًا أنه يغذيها من خلال أولئكم المنافقين الذين يندسون في صفوف المجاهدين والمهاجرين يثيرون المشكلات ويفتعلون بعض الحوادث فيربكون الصفوف ويحدثون خللاً في المسيرة.

وفي موضوع مقتل الشيخ جميل الرحمن ـ رحمه الله ـ ينبغي التريث كثيرًا في اتخاذ موقف يتسم عادة بالسرعة، و إطلاق الأحكام حتى يتبين الدافع وراء مقتل الشيخ ـ رحمه الله ـ ويتبين من القاتل الحقيقي وليس الأداة التي استعملت في التنفيذ. ومع أن القاتل الغادر قد قُتِل وقد يكون قد قتل معه سره أو أسراره فلاشك أن التحقيق سيصل إلى شيء من الحقيقة من خلال خيوط تجر إلى الوصول إلى ذلك. ورغم أن هذه الخطوط واهية الآن عند البعض، إلا أن المؤمل أن الاختصاص في التحقيق سيجعل من الخطوط الواهية براهين للوصول إلى الجهة التي وقفت وراء مقتل الشيخ ـ رحمه الله ـ.

والأمر هنا يحتاج إلى وقفة طويلة يكون فيها حساب ويكون فيها تقويم، وربما يكون فيها إعادة ترتيب للأوراق. ولا يعني وقوف المرء على الحق خلو الساحة من أولئك الذين لا يريدون الوقوف على الحق، ومن ثم عرقلة الواقفين على الحق. وهناك من يزعم أنه ما دام على الحق فيجب أن يلقى التقدير والتفهم من كل الناس الآخرين. والواقع أن هناك دعاة للباطل في كل مكان، وفي كل زمان. والصراع بين الحق والباطل مستمر، وعلى الجميع معرفة الحق لاتباعه ومعرفة الباطل لاجتنابه. وطريق الدعوة إلى الله لم يكن في يوم من الأيام مزروعًا بالورود، بل لاقى ويلاقي الدعاة إلى الله تعالى صنوفًا من

التضييق يـدركه الجميع من خـلال المتابعـات وقـراءة سير الـدعاة من القـرآن والسنة وكتب السير والتراجم .

وعلى أية حال فنحن أمة لا تقدس الرجال ولا تنظر إلى الحق من خلالهم ، ولا نجعلهم حجـة على الحق ، بل الحـق حجـة على الجميع ، ولئن فقـدت الأمة رجلاً من رجالها كما فقدنا الشيخ جميـل الرحمن ـ رحمه الله ـ فإننا ندعو الله تعالى أن يعـوضنا بخير منـه ، وهذا دعـاء طيب فيه تطلع إلى الأفضل وإن كان المفقـود فاضـلاً . ومع هذا كله وإيمـانًا بهـذا كله يشعـر المرء بشيء من الفراغ إذا فقد عـزيزًا عليه ، فلا بد من الحزن ولا بـد من الذكر الطيب للطيبين والدعاء لهم بأن يجمعهم الله ، ويجمعنـا بهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ويمتد الدعـاء إلى المجاهدين في أفغانستـان بأن يعينهم الله على المرحلة الحرجة القـادمة ويلهمهم الحكمة في التعامل معها ؛ نصرة لله ولـدينه ولأمته ، وأن يجمع كلمتهم على الحق ، فـلا يكفي جمع الكلمـة على أي شيء . وأن يختار لنا ولهم الخير . وكان الله في عون الجميع .